من غريب

الى عصفورة مغتربة

في خطرة فكر للناظم الف ان يرسل مثلها في موعد من كل عام تحية الى فقيد عزيز في عالم الغيب. وقد جعل مدارها في هذه القصيدة على عصفورة تعرف بالخُضيري اشتهت عليه بين ان تكون مجلوبة للاتجار او قاطعة من قواطع الاطيار

يا من شكت ألمي معي طيّته في مسمعي
شكواكِ ألطف بلسم لجراحة المتوجع
ما اعلق الشدو الرخيم بكل قلب مولع
غنّي اهازيج النوى وعلى نواحي وقعي

بتّ الكنانة مأرمى[1] بك بين هذي الاربع
فيم اغتربتِ وكنت في ذاك الامان الاسنع
أحملتِ محمل سلعة جلباً بغير تطوّع
ففررتِ من قفص الكفيل الى الفضاء الاوسع
وبودّك العود القريب لسربك المستتبع
في مصرَ مصرخةِ اللهيف وملجإ المتفزّع
مصر السماء الصحو مصر الدفء مصر المشبع
مصر التي ما ربع ما كنتها بربيع زعزع
حيث المراعي والندى للرتوي والمرتعي
حيث السواقي الجاريات على الطيور القطّع
حيث الحرارة ما توا لي ربيبها بتزعزع

أم انتِ من تلك الجوا لي في الفصول الاربع
لا تعرفين من الزمان سوى المكان المربع
شبين من متربّع ابداً الى متربّع
بهداية صحّت على طلب الاحب الانفع

---

(١) الكنانة مصر

وتقلب الفكر في التوجّه واختيار المنجع
وغناء رأي عن ولا لة ابرة او موجع
وقناعة من قسمة لك عند خير موزع
في السرب انى سارلا تخشين سوء الموقع

السرب ما في السرب من عجب لذي قلب يعي
تنضمّ حين جلائه اشتاته في مجمع
من غير ميعاد تقدّم للرحيل المزمع
فاذا علا ازرى على سرب السفين المقلع
آلافُ آلافٍ بغير تلكؤ وتضعضع
وبلا هزيز تثاقل وبلا ازيز تخلّع
وبلا اصطدام في الزحام محطّم ومصدّع
ان تلتثم فورودها كالعارض المتقشع
او تفترق فهي الجيو ش بقادة وبتبّع
كلٌّ يسير ولا يخالف في الطريق المشرّع
كلٌّ يجاري رأيهُ والرأي غير موزّع
كلٌّ كربّان يدير زمام فلك طيع

باليمن يا غرّيدة الوادي الى الوادي ارجعي[1]
اني لاسمع في غنائك رقرقات الادمع
ويروعني شجن به كشجى بحلق مودع
تلك البراعة ما استقت في جمال ابرع

جسم كخُلق للحياة معرّق ومضلّع
يغشاهُ ثوب دبّجت الوانهُ يد مبدع
المتن يزدهر ازدهار الاخضر المتجمع
والصدر فيما دونهُ يزهى باحمر مشبع

---

(١) يريد بالوادي وادي النيل

والجيد زين من النقار بحلية لم تصنع
ودع كل نقش في الخلال موشّم ومبقع
ودع القوادم تستقلّ بريشها المتنوّع
آيات خلّق من يُجل نظراً بها يتخشّع
أعظم بها في ذلك الجسم الصغير الأضرع (١)
لولا الحراك لخيل من ثمر هنالك موتع
حلو الشمائل ان يجار الطبع او يتطبع
يرلو بقائضتي سنى كالجوهر المتطلع
يسهو بناشيتين تسدلان مسدلّ البرقع
متطاول الخدين في وجه حديد المقطع
منقاره كقلامتين من الظلام الاسفع

اختّ الشوادي الخضرحانت أفئدةُ المتوجّع (٢)
بك نزعتي نحو الحمى وعداك قيدي فازعي
التي الوداع تأبّياً واستوفزي واستجمعي
لله وثبتك البديعة اذ وثبت لتطلعي
حيث الضحى متأكب كطلاً بكفّ مشعشع
والريح تمخض آخر النفحات حضن المرضع
والدوح مياد الروّس مشيّع بالاذرع
وتعطّف الافنان شبه تقصّف فيه اضلع

خُضت الضياء على غوارب موجه المتدفق
لتصاعدين وما الشهاب على الهبوط بأسرع
يرمي جناحاك الهاوي بالشعاع السطع
وتراعُ رائعة النهار لومجك المتفزّع
ولشكة الالوان حولك كالنصال الشرّع
مزّقت استار الدجى عن عالم متقنع

(١) الضيف (٢) المسافر

جَمَّ الخلايا في حواشي النور خافي الموضعِ
اعمَلتِ خطبك في فؤاده وفي الذرائر اجمعِ
انظرت عن كثب الى ملاءٍ هناك مروَّعِ
هي وقفة سيفٍ الجوّ بين هبائهِ المتلمعِ
هبت خلائقهُ على ذاك المغير المفزعِ
في أسد غاب تستطير وفي ذباب وُقَّعِ
يجدون حرباً كالكماة وكالرماة الركّعِ
يكرون او يفرون بين تفرُّد وتجمُّعِ
يرمين بالرُّجُم الدراق وبالنجوم الظُّلَّعِ[1]

تبغي بغارتك السنية في المجال الارفعِ
ما شأن كسرى في الفتوح وما مفاخر تُبَّعِ
لا مجد يبلغ مجدك الامنى بذاك المَفزَعِ[2]
لاسفو اروح من تغيُّر خصمك المتضعضعِ
لا سلم ابهج من تمايُل ركنهِ المتزعزعِ
أُمُّ الاثير جمالها في ان تُراعَ فروّعي
وتتمُّ آيةُ حسنها بالأمن بعد تفزعِ
فاذا مضيتِ ولم تُصَب بلائك المتوقعِ
بل جزتِ بالحسنى وساء تورُّع المتورّعِ
ثابت الى فرح كذلك توبة المتسرّعِ
فلديها كبَّار دُرٍّ ساطع سيف مَسْطَعِ
والجوُّ تملأهُ ثُنا لاتُ البروق اللُّمَّعِ

سيري وولّي صدرك المشتاق شطر المربعِ
حتى اذا ما جئتهِ وشرعت اعذب مشرَعِ
وشدوت ما شاء السرور على ارتقاص الاذرُعِ

(١) التي تنبعث في مشيها وهو شبيه بالمرح (٢) المفزع المصعد

عوجي ببستان هنالك في العراء مضيّع
صفصافهُ متناوح والنور باديه المدمع
لي في ثراهُ دفينة كالكنز في المستودع
تخفي الازاهر قبرها عن اعين المستطلع
كانت مثالاً للمحاسن في مثالٍ ارو ع
فتحوّلت لطفاً الى طيف ارقّ وابدع
طيف يشفّ به اليلي عن رفعةٍ وتشيّع
فاذا السماء قرارة والنجم بعض البيّع
قولي لهُ ان جئته يا انس هذا البلقع
انحسُ في هذا الثرى نبضانَ قلبٍ موجع
هذا حنين من فؤاد محبكْ المتفجع
عدّت العوادي جسمهُ عن قرب هذا المضجع
فمضى باحزن ما يكون اخو الاسى وباجزع
ونوى الضريح اضرّهُ كنواك يوم المصرع

نعم الشفيعة انتِ لي عند الملائك فاشفعي
من لي بصوت مثل صوتك مبلغ لتضرعي
يُنمى الى ثاوي الجنان ليستجيب وقد دعي
ان الذي ابكيهِ وهو من النعيم بمرتع
برٌّ على رغم الفراق بعبده المتضعضع
كم زرتهُ في يقظة والمُ بي في مهجع
يدنو اليَّ تنزّلاً عن عرشهِ المترفع
وكم اخذت لصوته رجعاً فخفق مطمعي
قطع الغيوبَ وجاءني بعروضهِ المتقطع
هذا الوفاء وفاؤهُ فادعيهِ لا يتشيّع
يهتاف لوعتيَ اهتفي وصدى غرامي ارجعي
حتى يجيب فأنصتي بضميريَ المتسمع

خليل مطران